

الرؤية الأنثوية في الرواية الجزائرية المعاصرة
-قراءة الأنساق المضمرة في رواية "عائشة بنور"-

The female vision in the contemporary Algerian novel -reading the joined
formats in the novel "Aisha Bennour" -

صبرينة بوقفت	إحسان جابري
جامعة الشيخ العربي التبسي تبسة (الجزائر)	جامعة الشيخ العربي التبسي تبسة (الجزائر)
Sabrina.bougoufa@univ-tebessa.dz	ihcenedjabri@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/12/26

تاريخ القبول: 2025/09/23

تاريخ الاستلام: 2025/06/27

ملخص:

تعد المرأة من القضايا المهمة التي ناقشتها الرواية العربية المعاصرة عموماً والجزائرية على وجه الخصوص، حيث تناولها العديد من الروائيين والروائيات في كتاباتهم، لأن البحث عن الذات الأنثوية بات شغلهم الذي عبروا من خلاله عن حالات الضياع والتشتت الذي أصابت الإنسان المعاصر في ظل الحروب والأزمات الاقتصادية التي مست المجتمعات، وتأسيساً على هذا، تهدف الدراسة إلى تقديم مقارنة تأويلية من أجل الكشف الأنساق المضمرة في رواية عائشة بنور؛ وسعي المرأة الكاتبة باعتبارها ذاتاً أنثوية محكومة بتجاذبات وقوى مشروطة بالحيز الذي تعيش فيه لإثبات هويتها من خلال طرح جدلية العلاقة بين الأنا والآخر، ومناقشة قضايا تتعلق بمصير وطنها، وعليه تندرج إشكالية البحث: كيف عاجلت الرواية النسوية الجزائرية قضية هوية المرأة؟ أي رمزية استتارت عليها عائشة بالنور في روايتها؟

الكلمات المفتاحية: الهوية، الأنساق المضمرة، الذات، الآخر، التأويل.

Abstract:

women is one of the important issues discussed in the contemporary novel, as many novelists, male and female, dealt with it in their writings, because self-searching has become their preoccupation, through which they expressed the cases of loss and dispersion that afflicted contemporary man in light of wars and crises.

Based on this, the study aims to provide an interpretive approach; To reveal t

he writer's woman's quest as a female self governed by tensions and forces conditioned by the space in which she lives, to prove her identity by proposing the dialectic of the relationship between the ego and the other. And discussing issues related to the fate of her

homeland, and accordingly the research problem falls into the following: How did the Algerian feminist novel deal with the issue of identity? What symbolism did Aisha benour conceal in her narration?

Keywords: Identity, The implicit structures self, other, interpretation

. مقدمة:

يجب أن تحتوي مقدمة المقال على تمهيد مناسب للموضوع، ثم طرح لإشكالية البحث بالإضافة إلى تحديد أهداف البحث ومنهجيته.

تعد إشكالية هوية المرأة من القضايا المهمة التي ناقشتها الرواية الجزائرية المعاصرة؛ حيث تناولها العديد من الروائيين في كتاباتهم، فهي معبر الولوج إلى مضمون الرواية، لأنها تفصح عن الأيديولوجيات المشكلة لها، هذا ما أكسبها قيمة جعلت جل النقاد يخصصون أبحاثاً عديدة تعالج مظهراتها المختلفة السياسية والاجتماعية والفلسفية، وبناءً على هذا تتأسس فرضية الدراسة وإشكالاتها؛ لتتمحور حول فكرة مدى معالجة المتن السردي النسوي لقضية الهوية النسوية، ومدى التزامه بالقضايا الكبرى المتعلقة بالمرأة وخصوصيتها؛ إذا افترضنا أنّ لهذا النص ملامح خاصة وأهداف دقيقة ومحددة تبلورت نتيجة اتباع منهج معين، في غضون هذا تشكلت إشكالية البحث الرئيسة وتفرعت على التساؤلات التالية:

- ما هو مفهوم الهوية؟

- كيف عالجت عائشة بنور قضية المرأة وهويتها في الرواية؟

- ماهي أهم الأنساق المضمرة التي كشفتها القراءة؟

بغية استكشاف كنه الظاهرة في متن رواية الكاتبة عائشة بنور التي اخترناها مدونة أدبية؛ لاحتوائها على مجموعة من المواصفات والخصائص التي تجعلها أقرب لهذا المفهوم، ولرصد أهم مظاهر هوية المرأة التي استطاعت أن تطرحها في مجتمع ذكوري، وتحديدهم القواعد الرئيسية التي اعتادها الذوق الأدبي العربي بمناقشة الطابوهات وكشف المضمرة، وللإحاطة بالمعاني الحقيقية لهذا النص الروائي، وفك رموزه والقبض على الدلالات المخفية استلزمنا الدراسة اتباع (المنهج التأويلي) لتيسير سبل الوصول إلى فعل القراءة، الذي يضمن التحول من فعل استهلاك النص إلى فعل إنتاجه أو بالأحرى (إعادة إنتاجه قرائياً).

2. مفهوم الهوية:

2-1. لغة: المعاجم العربية

عند البحث في المفهوم اللغوي لكلمة "هوية" نجد أنه لا يتطابق مع ما تعتمده الدراسات الحديثة التي تقوم على مهاد فلسفي منذ أفلاطون؛ لهذا ورد في المعاجم العربية بمفاهيم مغايرة، ففي لسان العرب لابن منظور نجد: "الهوية بئر بعيدة المهواة، وعرشها سقفها المغمى عليها بالتراب فيغتر به واطئه فيقع فيها ويهلك، ... الهوة الحفرة البعيدة القعر، وهي المهواة ... وهي جمع هوة، وهي الحفرة والمطمئن من الأرض"¹، وعليه يتمحور معناها في كونها بئر عميقة

وبعيدة، أنها تحمل معاني السقوط والنزول من الأعلى إلى الأسفل، ومنه: تخلو المعاجم اللغوية العربية القديمة من المفهوم المعاصر للفظة الهوية.

لكن الباحث في مفهومها لدى الفلاسفة العرب القدامى يجد الجرجاني يقر بعمق المفهوم فيقول: "هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق والسارية في جميع الموجودات ما إذا أخذت حقيقة الوجود لا بشرط لا شيء"²، فهي ثوابت الشيء التي لا تتغير ولا تتبدل، إنها جوهرية، وتستخدم للدلالة على الصفات الثابتة في ذات الانسان .

أما في المعاجم المعاصرة فنجدها: "تقال بالترادف على المعنى الذي ينطلق على اسم الموجود، ... وهي أيضا من الألفاظ المنقولة لأنها عند الجمهور حرف وهنا اسم، ولهذا ألحق الطرف المختص بالأسماء، وهو الألف واللام، واشتق منها المصدر فقبل الهوية من الهو، كما تشتق الإنسانية من الإنسان، ... وإنما فعل ذلك بعض المترجمين لأنهم رأوا أنها أقل تغليطا من اسم الوجود إذا كان شكله شكل اسم مشتق"³.

فهو مصدر صناعي مشتق من الحرف " هو " وهذا ان دل على شيء فهو يدل على خلو معاجم العرب قديما منها، وأنها مصطلح استحدثه المترجمون مع تزايد الاهتمام به مع تقدم الزمن في العالم.

2-2. المعاجم الغربية:

الهوية النموذج الغربي Identity / Identiti تتخذ معان عديدة بتغير المجال الذي تستخدم فيه، وفي جذرها اللغوي مشتقة "من الكلمة اللاتينية "Eden" التي تقال عن الأشياء أو الكائنات المتشابهة أو المتماثلة تماثلا تاما مع الاحتفاظ في ذات الوقت بتمايز بعضها عن بعض"⁴، هي لفظ يعني توافق وتماثل الأشياء في الخصائص العامة، وإبقاء الخصوصيات الفردية التي ينفرد بها عن غيره، وهي من "الضمير المنفصل" هو " الذي يدل على ذوات الأشياء أو الأشخاص الآخرين"⁵ إنها تحيل إلى الآخر الذي يقابل الأنا.

كما شرحها قاموس "لاروس": "مجموع الظروف أو الحشيات التي تجعل الشخص مميزا أو محددًا"⁶، حيث تراعي اختلافات الأشخاص والأشياء.

ومن خلال هذا نقول: يتراوح مفهوم الهوية في المعاجم الغربية بين المطابقة والمماثلة والتجانس الذي يحمي الخصوصية والتفرد والتميز في ذات الوقت.

2-3. اصطلاحا:

يعتبر مصطلح "الهوية" من المصطلحات المتداخلة في مختلف العلوم الإنسانية، واختلفت آراء الباحثين في تحديد مفهوم شامل ودقيق له، ولهذا يصعب الإمام بكامل التعريفات الواردة فيه، كما أن البحث عنه كما يذكر الدكتور شكري عياد أضحى "سمة من سمات العصر، وكأنها رد فعل للنزعة العالمية التي تستند إلى تكنولوجيا الاتصالات"⁷، أي أنها دراسات فرضتها الثورة التكنولوجية العالمية التي ردت العالم قرية واحدة ونادت بكسر الحواجز بين الدول والشعوب.

وفي تحديدنا لمفهوم الهوية نجده يجمع العديد من المتناقضات؛ بين ما هو مادي محسوس وما هو مجرد، حيث تذهب العديد من الدراسات إلى أنها كل متكامل يعبر عن ماهية الشخص (الأنا) أو الشيء، فتحدد سماته الخارجية التي تشكل ظاهر (الأنا) المدرك من طرف الآخر (الغير)، كما أنها تعبر على "كل الثوابت التي تشكل الروح والوعي ... تلازمه مكونة شخصيته، ومحددة معاملة بشكل ثابت مما يصنع ابداعه طابعا خاصا"⁸، وتشكل معالم (الأنا) الباطنية التي تميزها عن غيرها والذي لا يمكن أن تنفصل عنه الأنا، لأن "الهوية تحقق شعورا غريزيا لانتماء إلى الجماعة والتماهي بها، فتبادل معها -الاحتراق-"⁹، الذي يفرز صلات التواصل بينهما.

فالهوية بمعناها الجماعي كما يرى الناقد عبد الله الدايم: تعني في نهاية المطاف الثقافة بالمعنى الأنثروبولوجي الواسع لهذه الكلمة، وأعني بالمعنى "الأنثروبولوجي" الواسع كلمة ثقافة كما تفهم اليوم، جميع أنماط السلوك المادية والمعنوية السائدة في مجتمع من المجتمعات والتي تميزه من سواه، وتشمل هذه الأنماط الفكر والتاريخ والحاضر بالإضافة إلى المستقبل، وهذه الأنماط الفكرية التي تغتني عبر الزمن وتكون هذا الإرث الثقافي الذي يشعر أبنائه بأنهم مرتبطون به"¹⁰، فهي في شكلها الخاص تشكل السلوكات والمقومات، التي تكون ذاته الفكرية من لغة، دين، عادات وتقاليد ... وتعدد هذه الملامح انطلاقا من ثقافة المجتمع المشتركة بين أفرادها، الذين يعملون من أجل الحفاظ عليها وتوصيلها إلى أجيال المستقبل، فهي وليدة البيئة، ومن "أهم السمات المميزة للمجتمع، وتبرز معالم التطور في سلوك الأفراد وإنجازاتهم في المجالات المختلفة"¹¹، إنها تحتوي على كافة المؤهلات والثوابت التي تبلور شخصية الإنسان، وتدفع به إلى ممارسة دوره في الحياة بتسطير أهدافه، فهي الجزء الأساسي المكون للوعي والإدراك العام للأمة.

3. الهوية النسوية بين إثبات الذات والوعي الجماعي في الرواية الجزائرية المعاصرة "اعترافات امرأة" لعائشة بنور:

تتلخص أحداث الرواية بداية في تسع أجزاء تحمل العناوين الآتية: "وجع طفولي، الرؤيا، أقنعة ممزقة، همسات ملونة، اعترافات اللذة والنار، جزيرة النوار، سكاكين الخيبة، الكؤوس الملونة، وإمرأة بلا لدون. ومن الملاحظ أن "عائشة" عبرت عبر أحداث ونقاط الرواية عن اعترافات اللذة أنثوية بحتة، فالحديث عن المرأة العربية عموما والجزائرية على وجه الخصوص يشكل أهم القضايا على الساحة الأدبية العربية، التي يمكن طرحها في خضم مجتمع عربي مغاربي محافظ نوعا ما خاضع لسلطة العادات والتقاليد التي أصبحت كالسنن التي لا يمكن الحياد عنها لذلك عمدت الرواية طرح موضوع المرأة بأبعادها الاجتماعية والفكرية والثقافية، وبجميع صورها، مثقفة، أم، زوجة، طفلة، مجاهدة، غاوية... الخ.

3-1. المرأة المومس:

يعد الجنس من المواضيع المحظورة في مجتمعنا العربي والجزائري على وجه الخصوص، وقد تعمدت الرواية كسر طابو هذا الموضوع -المسكوت عنه- ويعد الجسد «أحد المحاور التي دارت حوله نصوص الأدب النسائي، وبقدر تعلق الأمر بالرواية العربية النسائية، فإنه لا يمكن القول بأن الجسد الأنثوي كان عنصرا له حضوره إلى جوار عناصر أخرى، ودرجة

الاهتمام به تختلف بين نص وآخر، وفيما لا توليه بعض الروايات إلا اهتماما عابرا تحتفي به روايات أخرى وتنهمك في رسم تفاصيله فيكون مثالي للإعجاب والخفاوة والرغبة»¹².

وكما ذكرنا سابقا فإن الجنس كان ولا زال من المواضيع الهامة والمسكوت عنها في الروايات العربية والجزائرية على وجه الخصوص لاسيما في الرواية النسائية، حيث تفصح عنه الرواية لكونه «إشكالية كبيرة تثير تأزمات لا حصر لها، ذات صلة بسلوك المجتمعات والأفراد وقيمها، وقد عبرت الكاتبة العربية في نصوصها الإبداعية عن كثير من الدلالات وأشارت إلى العديد من الرموز من خلال العلاقات الجنسية والتي لم تأت في الغالب بشكل علاقات شرعية وسليمة طرفاها امرأة / رجل بل امتلأت بالشذوذ والانحراف واقتربت بالآلام والعذابات النفسية والجسدية»¹³.

وقد أشارت الروائية "عائشة بنور" إلى طابو "الجنس" في الكثير من صفحات الرواية، تقول في ذلك: «امرأة تشتهي ثقافة الاستعراض وبيع جسدها مجانا باسم التحول والعصرنة والفن وأنتوية!! لوحات لجسد متعدد أو جسد للوحات متعددة وألوان مختلفة... جسد يضع اللغة الغنائية بلوحات متشابهة ومتعددة، وأحيانا تمارس لوحة الجسد لوحة الغواية... كأنها امرأة تقول لي:

- أحتج بجسدي العاري عن قمع مسكوت عنه؟

- أو جسد يكسر الوصايا ويحطم أوتاد البادية!

أو جسد شهواني غريزي يثير الأحاسيس ويحرض على الإثارة وعلى التعامل فقط مع الجسد؟

- جسد البوح ونداء الأنثى المحرومة، واعتراف بالهزيمة والإحباط والحرمان كامرأة، وتعويض اللامزجة المريضة بإنتاج الخطيئة في كل مكان.

- امرأة أمقتها بداخلي ..

- امرأة تعزز ثقافة الجسد وتصنع منه نصا جديدا ومتجددا كل يوم في الفضاء، وبلوحات مختلفة شبيهة بعمى

الألوان (...). أعترف أنها امرأة ليست مني ... امرأة أخرجت من ضلع ملتوي!»¹⁴.

حاولت الروائية في هذا المقطع بعث ملامسة الواقع، ملامسة المجتمع المتسلط الذكوري المتراقص على الأجساد اعترافات واعترافات وتتوالى الاعترافات والآهات والأزمات النفسية للبطلنة الراضية للغريزة والجنس وللمرأة المومس المبيحة جسدها لمجتمع يعشق الشهوة والشبقية، امرأة تعزز ثقافة الجسد والألوان المترامية بلوحات جسدية مختلفة، لكي تبوح في الأخير وتعترف برفضها التام والنهائي للجنس والإباحية وللمومس والألوان؛ وعلى هذا الأساس يمكن القول أن «خطاب المرأة ليس خطابا مضادا ولا ملغيا للطرف الآخر وإنما هو خطاب وجودي تسعى من خلاله إلى إثبات وجودها والاعتراف بما كذات فاعلة وليست كذات مفعول بها، كما رسخ ذلك في الوعي الجمعي للرجل العربي وكما توارثه من البيئة العربية من نظرة احتقار ودونية للمرأة»¹⁵.

3-2. المرأة القائدة:

كثيرا ما يختلف ميزان القوة بين الرجل والمرأة، وكثيرا ما عرف الرجل بقوته وتسلطه مقارنة بالمرأة المعروفة بالحس المرهف وبضعها وكبريائها وعنفوانها إلى جانب ذكائها المنقطع النظير في الكثير من الأحيان، ولقد قدمت الروائية إلى

جانب صورة المرأة المومس، صورة عن المرأة القائدة القوية الحكيمة والمجاهدة التي استطاعت تحرير الأوطان بذكائها وفطنتها وحذاقتها في تسيير الأمور، تقول في ذلك: «ورأيته امرأة كثيرة السفر والترحال... مشوقة القدر حكيمة... تقود قافلته من العبيد وبجانبتها خادمتها.

- قلت لها:

- من أنت؟

- قالت:

- أنا جدة الطوارق وهذه خادمتي "تاكامت"

- قلت: تشبهين "ماتواكا" أي "بوكاهانتس" ... الفتاة التي تحب اللعب: ... فتاة شجاعة وذكية ... بوكاهانتس بطلة السلام قرأت هذا في حكايات الأطفال.

- قالت أنا أم الصحراء الإفريقية أسكن بلاد الأهقار

قلت:

- إنك تهيّنان "أم الأشراف" حامية الأهقار وأم الطوارق؟ امرأة تسكن الأودية والجداول والمروج الخضراء... كانت رائعة الجمال وبأخلاقتها النبيلة شيدت مملكتها الكبيرة...»¹⁶.

- تقول في موضع آخر: «رأيته تقاتل بشراسة جنودا مدججة بالعتاد السلاحي الثقيل ... رأيته بطلة وهي تنقذ البطل الشريف بويغلة من موت محقق و... و...»

- كانت فتاة ساحرة وذكية ومتصوفة ... شجاعة وقوية تخوض معاركها ضد الجيش الفرنسي ببسالة رأيته في وجه جميلة بوحيرد وحسيبة بن بوعلي ونساء الجزائر يرفعن علم الحرية بألوانه الثلاثة»¹⁷.

- قدمت "عائشة بنور" مجموعة من الشخصيات النسوية الثورية بين طيات روايتها، "جميلة بوحيرد"، "حسيبة بن بوعلي"، "تتهينان"، "بوكاهانتس" وغيرهن وربما يمكن القول أن هاته الشخصيات لم تحضرن في المتن الروائي اعتباطا، وإنما لتكسر الرواية أفق توقع الرجل العربي الذكوري بأن المرأة يمكن أن تكون أيضا قائدة ثورية مناضلة قوية، بذكائها وفطنتها لا بجسدها لذلك يمكن القول أن هذا الحضور الأنثوي، الجلي والواضح القيادي الثوري يعد بمثابة رسالة مشفرة مبطنة للمجتمع الذكوري القاهر لصوت المرأة والكابت لشخصها وحريتها، هذه الحرية التي كانت يوما ما سببا في نيلها ونيل حرية وطن برمتها.

3-3. المرأة / الأم:

تعد الأم ركيزة البيت والمجتمعات على حد سواء، فهي المربية والمرشدة والناصحة والمعلمة والطبيبة وهي النموذج الأول والراعي الأساسي في التنشئة الاجتماعية، فإن صلحت صلح المجتمع، وإن فسدت فسد المجتمع، وقد وردت بصورة المرأة/ الأم في الرواية موضع الدراسة، صورتها الرواية إلى جانب من الحنين والحب، تقول في ذلك: «أمي التي كانت تغسل أجسامنا وأجسام أبناء عمي بالماء والصابون، تغسل رؤوسهم الملونة "بالجدري" ... كانت أمي لا تعرف غير الماء والصابون وسراويل الجينز والأفرشة وإعداد الطعام للولائم الكبرى ..

- أمي لا تتعب...

- كانت أمي لا تعرف راحة لجسدها كانت تموت في الشهر ألف مرة ولا تعرف الطبيب؟

- كنت أريد أن أكون شبيهة أمي أمي التي لا ترفض الأشياء المسلم بها ... أمي مشغولة بسجادهما وبالصوم وزيارة المقبرة في المواسم والمرضى من الأقارب والغسيل والطبخ وتثور ثائرتها إذا ما تطاول عليها أبي بالضرب ساعة ما يتعدى لسانها كل الخطوط الحمراء، أو تنتفض حينما تتكرر صورتها في أيامها المتتالية، تجمع ملابسها وترحل إلى بيت أهلها وتتركنا نلعب لعبة الخيار ... صغار في حيرة الحب والاختيار؟¹⁸.

حاولت الرواية منحنا صورة نمطية عن الأم الجزائرية بصفة خاصة، عن المرأة التي تتحمل مشاق التعب من تربية وخدمة للبيت وتنظيف ورعاية أطفال وزوج، وأهل وأحباب وضيوف، هذه الأم -الحديدية- إن صح القول المتحملة للمشاق والصعاب سردت الرواية أحداثها اليومية وحياتها على مرأى من أعيننا والتي لم تود "عائشة" أن تكون نسخة مكررة عنها.

3.4 المرأة الزوجة: يعد الزواج أساس الدين الإسلامي الحنيف ويعرف في الأساس على أنه العلاقة الشرعية والمقدسة التي تجمع بين الرجل والمرأة لتكوين أسرة متوازنة، ولإنجاب أطفال أسوياء نفسياً، وقد أشارت الرواية "عائشة بنور" إلى قضية الزواج بين جنسيات أحداث الرواية "اعترافات امرأة"، تقول في ذلك بقلم ذكوري: «وأمضى وقتنا يثرثر مع نفسه محتجا أحيانا ومتفهما أحيانا أخرى ... متألماً ... بائساً ... سعيداً ... مؤكداً فينفسه على أن مؤسسة الزواج أصبحت فارغة من الحب -من المودة والرحمة -

- أصبحت مجرد أجساد تلتقي لحظة المغيب ... مجرد مؤسسة مطالب وسبقا مع الزمن ... مجرد ... مجرد...

- ماذا لو كانت امرأة؟

- امرأة لا تنجب الأطفال؟

- هل أرضى بقسمي معها؟

- هل أتزوج بأخرى لتجنب لي البنين والبنات ...

- أن تملأ أصواتهم صمت هذه الغرفة الضيقة.

- هل أطلقها؟

- هل أرحم اشتياقها للأُمومة؟

- هل ... هل ...

- أتعبتني أسئلتني التي فرضت نفسها على تفكيري بإلحاح وقلت وأنا من يتحملني الآن؟

- هل ترضى أن نبقي مع رجل عاجز عن الإنجاب، وترحم أبوتي وتحرم نفسها الأُمومة؟¹⁹.

وعلى هذا الأساس يمكن القول أن الأدبية حاولت مراوغة القارئ، وذلك بالكتابة بقلم أنثوي أحيانا وبقلم ذكوري أحيانا أخرى، فقد عبرت عن رأيها بالزواج في وقتنا الحالي بالنظر إلى كونه مؤسسة فارغة من كل أحاسيس ومشاعر، مجرد لقادات ليلية بين الرجل والمرأة للإنجاب فحسب، فكيفما يكون الحل إذا كان أحدهما عقيماً، إنه نوع من البوح الأنثوي

بما يجيش في النفس بقلم ذكوري «رغبة في الاحتجاج والرفض الذي يكون معلنا حيناً ومضمراً أحياناً أخرى في متن النصوص القصصية النسائية كما تعكسه بعض المحافل السردية وبعض الشخصيات، والاحتجاج هنا يتمثل إلى احتجاج على الرجل وتمرد على سلطته، ثم إلى احتجاج على المجتمع وبعض أعرافه»⁽²⁰⁾.

4. مقارنة تأويلية في تعدد صور المرأة في رواية "اعترافات امرأة" لعائشة بنور

لطالما اشتغل النقاد بالبحث عن جمالية الأدب وشكله الخارجي، إلى أن أصبح الوقت يستدعي تجاوز هذا والغوص في قضايا أخرى مضمرة وعميقة، ما دفع الغدامي إلى التساؤل: "هل في الأدب شيء آخر غير الأدبية؟ لقد شغلت أدبية الأدب حيزاً عريضاً في البحث النقدي على مدى قرون، وما تزال تفعل، غير أن جهوداً خارقة قد جاءت لتكتشف أشياء أخرى من وراء ومن تحت أدبية الأدب"²¹، ليصبغ النص بعد هذه النقطة النوعية في دراسته بصبغة تأويلية، حيث يستفيد في دراسته من الثقافة الخارجية للقارئ التي تشكل جسداً مكوناً من الأنساق.

طرحت الرواية إشكالية الهوية من خلال مجموعة من الثنائيات التي كونت صراعاً جديلاً اجتماعياً، و«نسق ثقافي نستكشف من خلاله كينونة الذات وخصوصيتها... لنقف بذلك على مبدأ الاختلاف مع الآخر كصورة تعكس الصراع الجدلي القائم بين الأنا والآخر وأثر هذا الصراع على الذات وانتمائها»²²، بوصفه بيئة مركزية تتحدد من خلاله المعايير التي تضبط العلاقة بين (الذات/ الآخر) وهذا ما تسعى عائشة بالنور إلى تمريره من خلال اختلاف صور المرأة في روايتها، فالمرأة أيقونة محملة بدلالات القهر والظلم؛ وتعاني من النظرة التبخيسية والتشاؤمية بعد الزواج، والتي رسمتها انطلاقاً من واقعها المسيطر عليه من قبل السلطة الذكورية، هذا ما جعلها تتألم من التشتت والصراع الداخلي، وهو ترميز لجسد الوطن العربي المغتصب، وعن الفساد والاضطهاد المنتشر فيه، إنها دعوة إلى فضح ملفات الفساد والقضاء على المتسببين فيه.

وعليه إن «تمثيل الهوية على مستوى بناء الذات الأنثوية يتميز بنسق من التجاذب ويظل محكوماً بتجاذبات القوة والمقاربة في سيروية دينامية مشروطة بالحيز الذي يشغله كل طرف (الرجل / المرأة) لأن التاريخ يشكل أحد أهم أبعاد الهوية، فهي تكون حاضرها استناداً إلى التجارب التي خاضتها في الماضي وبمضيه تضيع، وتكون عرضة للتفكك والتمزق، ولهذا تتسول بالكتابة حتى تتماهى فيها، وتقاوم الاقصاء الذي يعد موتاً بالنسبة لها.

وللإجابة على التساؤلات المطروحة سابقاً، تطبق مقارنتنا التفكيك التأويلي من خلال استراتيجية تشيبت الدلالة، والتي تعد «ممارسة نصية دينامية، كل عنصر منها يحيل إلى عنصر آخر، في سيروية لا متناهية من الحالات»²³. ليتضح عبر سبر أعماق الخطاب، أن الحديث عن خيانة تستر وراء رمزيات متعددة؛ فتتشابك أنسجة النص لتقدم إلى القارئ نسيجاً بالتدليل الاستعاري الناقل لرؤى الكاتبة، والتي تفصح عن أحوال الذوات العربية المستبعدة للجميع؛ فاغتصبا كرامتها وأهانوها، وضيقوا نطاق العيش من حولها بغية ترسيخ هوية علمية على نمط واحد ومن إنتاجهم، وقوة متلاشية وراء صراعات الحروب الطائفية، أدّت لضياع الهوية العربية واندثارها بين تناقضات الحياة وزيف ألوانها المكسوة بالدم والخراب، أو بين الاستسلام إلى الواقع المخزي تحت رداء الصمت، فعائشة تلمح على فشل ثورات العرب على يد أبناء

شعوبها بحجج الاختلاف الديني واللغوي، وتعدد الأحزاب السياسية، حيث «يتحول المواطن والابن إلى مجرد متواطي وعميل ومغتصب لوطنه، والنتيجة وطن من زجاج لا يعكس وراء شفافية لونه إلى مرض النفوس ووجع السياسة، وغياب المسؤولية، وتدهور الثقافة وتلاشي الهوية وصوت الذوات»²⁴، إنه نزيف الوطن العربي الدامي، الذي يغرق في عوالم التفرق والضيايق، والفائح برائحة الدماء والغدر والخيانة....
وتأسيسا عليه يمكننا القول:

تساهم المرأة بشكل واضح في عملية تكوين النص وإنتاجه، وتتمكن من تكوين المنهل الخاص للذات الكاتبة المنطوية وراء المتن السردي الذي يولد رؤى سردية جديدة، لا تشبع نهم التأويل... لأنه يقدم «خطاب إيديولوجي... يقصد إلى توظيف أو استعمار مسألة الهوية ضمن استراتيجيات سياسة متعددة داخليا وخارجيا»²⁵، فالأحداث السياسية التي شهدتها المجتمعات العربية شكلت منعطفا حاسما في تاريخ الكتابة الروائية المعاصرة، إذ أن الحزب الحضاري والفكري والاقتصادي وخيانة السلطة الحاكمة لشعوبها نعى إحساس فقدان الانتماء والتشكيك في الهوية لدى الفرد العربي عامة والمثقف خاصة.

5. خاتمة:

تعالج الرواية الخطاب الهوياتي الأحادي البعد؛ إذ تندرج شخصية المرأة التي سيطرت العادات والتقاليد الأسرية - بوصفها هوية جماعية - على نمط حياتها، لتبدع "عائشة بنور" في نقل المرأة بصورها المختلفة أم، زوجة، مجاهدة وغير ذلك، في اعترافات مثلت نظرتها وصوتها المكبوت إزاء مجتمع ذكوري متسلط قابع وقامع لصوتها وشخصها، هذه المرأة أو هذا الكائن الذي يمثل في الأساس نصفه الثاني والركيزة الرئيسية التي تبنى عليها المجتمعات كما عملت على تمرير قضايا إيديولوجيا حصرت في مستويين سياسي وديني، وهذا باستخدام مؤشرات توضح الصراع الديني والسياسي في العالم، والقائم بين المسلمين والغرب.
تعالج الرواية الخطاب الهوياتي الأحادي البعد؛ إذ تندرج شخصية المرأة التي سيطرت العادات والتقاليد الأسرية - بوصفها هوية جماعية - على نمط حياتها.

6. الهوامش:

- 1 - أبو الفضل جمال محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2000، مادة (هـ . و . أ)، ص ص : 116، 117.
- 2 - الشريف الجرجاني، التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1998، ص ص 137-138.
- 3 - مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، ط 5، القاهرة، مصر، 2007، ص 667.

- 4 - أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، الجزائر، 2007، ص 12.
- 5 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 6 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 7 - وهب رومية، مفهوم الهوية في خطاب المفكرين العرب من مطلع النهضة إلى يومنا الحاضر، مركز دمشق للأبحاث والدراسات، د ط، دمشق، سوريا، 2017، ص 03 .
- 8 - ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر " نماذج رائية عربية "، عالم المعرفة، د ط، الكويت، 2013، ص 15 .
- 9 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها .
- 10 - وهب رومية، مفهوم الهوية في خطاب المفكرين العرب، ص 03
- 11 - كانون جمال، " الهوية " مقارنة نظرية مفاهيمية، مجلة تطوير، العدد 3، جامعة سعيدة، الجزائر، 2016، ص 72 .
- 12 - عبد الله إبراهيم: الرواية النسائية المعاصرة، مجلة علامات، جامعة قطر، عدد 17، د ت، ص 17.
- 13 - مصباحي خولة، ظمية يحياوي: المسكوت عنه في الرواية، الكتابة النسائية أنموذجا، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، مج 12، عدد 3، ص 501.
- 14 - عائشة بنور: اعترافات امرأة، منشورات الحضارة، ط 2، بئر توتة، الجزائر، 2015، ص 50-51.
- 15 - مصباحي خولة، زكية يحياوي: المسكوت عنه في الرواية العربية، ص 512.
- 16 - عائشة بنور: المصدر السابق، ص 88-89.
- 17 - المصدر نفسه، ص 89-90.
- 18 - عائشة بنور: اعترافات امرأة، ص 59-60.
- 19 - عائشة بنور: اعترافات امرأة: ص 25.
- 20 - عبد الرحمن الثمار: المرأة والإبداع، التشكلات الدلالية للحرية والاحتجاج، الجابري عابد ALJABIRI.ABED.NET تاريخ الزيارة: 2023/01/28 التوقيت 14:40 سا.
- 21 / عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، قراءة في الانساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، ص 13.
- 22 - نبيلة فراحتية ونعيمة بوزيدي، تشظي الهوية وانشطار الذات في الخطاب الروائي الجزائري ما بعد الكولونيالي (قراءة في روايتي الإنطباع الأخير وما لا تذروه الرياح)، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد 13، العدد 01، 15، 2021/03، ص 750.
- 23 - محمد بوعزة، استراتيجية التأويل من النصية إلى التفكيكية، ص 66.
- 24 - حنان خطاب، في فهم الخطاب السردي، ص 235.
- 25 - محمد سبيلا، مدارات خطاب الهوية، ص 41.

7. قائمة المصادر والمراجع:

- المصادر:

بنور عائشة، اعترافات امرأة، منشورات الحضارة، ط 2، بئر توتة، الجزائر، 2015.

- المراجع:

أبو الفضل جمال محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، ط 1، بيروت، لبنان، 2006.

الشريف الجرجاني، التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط 1، بيروت، لبنان، 1998.

عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، قراءة في الانساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي،

عبد الرحمن الثمارة: المرأة والإبداع، التشكلات الدلالية للحرية والاحتجاج، الجابري عابد

ALJABIRI.ABED.NET تاريخ الزيارة: 2023/01/28 التوقيت 14:40 سا.

عبد الله إبراهيم: الرواية النسائية المعاصرة، مجلة علامات، جامعة قطر، عدد 17، د ت.

كانون جمال، " الهوية " مقارنة نظرية مفاهيمية، مجلة تطوير، العدد 3، جامعة سعيدة، الجزائر، 2016.

ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر " نماذج رائدة عربية "، عالم المعرفة، د ط، الكويت، 2013

مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، ط 5، القاهرة، مصر، 2007.

محمد بوعزة، تمثيلات الهوية النسوية في رواية «دنيا: لعوية صبح، مجلة تبين، العدد 20، المغرب، 2017.

مصباحي خولة، ظمية يحياوي: المسكوت عنه في الرواية، الكتابة النسائية أنموذجا، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، مج

12، عدد 3.

نبيلة فراحتية ونعيمة بوزيدي، تشظي الهوية وانشطار الذات في الخطاب الروائي الجزائري ما بعد الكولونيالي (قراءة في

روايتي الإنطباع الأخير وما لا تذروه الرياح)، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد 13، العدد 01، 15،

2021/03.

وهب رومية، مفهوم الهوية في خطاب المفكرين العرب من مطلع النهضة إلى يومنا الحاضر، مركز دمشق للأبحاث

والدراسات، د ط، دمشق، سوريا، 2017.